١٦

قصص في الصِّدق

عبد العزيز سيد هاشم

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة قصص الأخلاق

١٦

قصص في

الصدق

إعداد

عبد العزيز السيد هاشم

المــــوضـــــوع : الآداب (القصص)
الــعــنــــوان : قصص في الصدق
إعــــــــداد :
عـدد الـصـفـحـات : ١٦
قياس الصفحات : ١٤×٢٠
رقـم الـتـسـلـسـل : ٥٩

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+
algwthani@scs-net.org

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

قَصَصٌ فِي الصِّدْقِ

الصِّدْقُ قُوَّةٌ

ذَهَبَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ بِلالُ بْنُ رَبَاحٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ مَعَ أَخِيهِ لِيَخْطِبَ لَهُ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ. فَلَمَّا جَلَسَا عِنْدَ أَهْلِ الْمَرْأَةِ قَالَ لَهُمْ بِلالُ: أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ كُلَّ شَيْءٍ عَنِّي وَعَنْ أَخِي؛ فَقَدْ كُنَّا عَبْدَيْنِ مَمْلُوكَيْنِ فَأَعْتَقَنَا اللَّهُ تَعَالَى، وكُنَّا ضَالَّيْنِ لاَ دِيْنَ لَنَا فَهَدَانَا اللّهُ إِلى الإِسْلامِ، وكُنَّا فَقِيرَيْنِ فَأَغْنَانَا اللّهُ. فَقَالُوا: نَعَمْ يا بِلالُ! نَعْرِفُ ذَلِكَ جَيِّدًا، فَمَاذَا تُرِيدُ؟ فَقَالَ: جِئْتُ لأَخْطُبَ ابْنَتَكُمْ لأَخِي، فَإِنْ تُزَوِّجُوهَا لَهُ فَالْحَمْدُ لِلَّه تَعَالى، وإِنْ تَرُدُّونَا فَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ.

فَقَامَ الأَهْلُ يَتَشَاوَرُونَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: إِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ مَكَانَةَ بِلالٍ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَزَوِّجُوا أَخَاهُ، فإِنَّ فِي ذَلِكَ خيراً.

فَوافَقُوا، ثُمَ ذَهَبُوا لِيُخْبِروا بِلالاً وأَخَاه بِالْمُوافَقَة. ولَمَّا خَرَجَ بِلالٌ وأَخُوهُ قال الأَخُ وَهُوَ يعَاتِبُ بِلالاً: يا بِلالُ! يغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَمَا كَانَ مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ تذْكُرَ لَهُمْ مَوَاقِفَنَا الْحَسَنَةَ فِي الإِسْلامِ. فَقَالَ لَهُ بِلالٌ: يا أَخِيْ لَقَدْ صَدَقْتُ فِي كَلامِيْ فَزَوَّجَكَ الصِّدْقُ.

صَدَقَ وهُوَ كَذُوبٌ

رَأى أبُو هُرَيرَةَ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ سَارِقاً يَسْرِقُ مِنْ بَيتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَأمْسَكَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إنِّي مُحْتَاجٌ، وَعلَيَّ عِيالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ. فَتَركَهُ أبُو هُرَيْرَةَ.

وفِي الصَّبَاحِ، قَابَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «يا أبَا هُرَيرَةَ، مَا فَعَلَ أسِيرُكَ البَارِحَةَ (اللَّيلَةَ الْمَاضِيةَ)؟». فَقَالَ: يا رسُولَ اللّه، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيالاً فَرَحِمتُهُ، فَخَلَّيتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: «أمَا إنَّه قَدْ كَذبَكَ وسَيعُودُ». وَصَدَقَ الرَّسُولُ ﷺ، فَقَدْ عَادَ الرَّجُلُ مَرَّةً ثَانِيةً وثَالِثَةً، وأبُو هُرَيرَةَ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ يمْسِكُ بِهِ، فَيعْتَذِرُ الرَّجُل بِمثْل ما اعْتَذَرَ بِهِ، ولمَّا أصرَّ أبو هُرَيرَةَ على أخْذِهِ إلى رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالَ لَه: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ. قَالَ: ما هُنَّ؟

قَالَ: إِذَا أوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقرَأْ آيَةَ الكُرسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ حتى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللّهِ حَافِظٌ، ولا يقْرَبَنَّكَ شَيطَانٌ حتى تُصْبِحَ.فَتَركَهُ أبُو هُرَيرَةَ. وفِي الصَّبَاحِ، سَألَهُ الرَّسُولُ ﷺ عمَّا حَدَثَ، فَأخْبَرهُ أبُو هُرَيرَةَ بِمَا قَالَهُ الرجُلُ. فقَالَ ﷺ: «أمَا إنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يا أبَا هُرَيرَةَ؟». قَالَ: لا. قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ».

كَذْبَةٌ وَحَرْبٌ

بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ الْحَارِثُ بْنُ ضِرَارٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ اتَّفَقَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يذْهَبَ إلى قَومه، ويدْعُوهُم إلى الإسْلام، وَيجْمَعَ الزَّكَاة ممَّنْ يسْتَجيبُ لَهُ، ثُمَّ يرْسِلُ الرَّسُولُ ﷺ رَجُلاً مِنْ صَحَابَته ليأخُذَها منْهُ. وَبَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إلى الحَارِث ليأخُذَ منْهُ الزَّكَاةَ، وَلَكِنَّ الوَليدَ عِنْدمَا وصلَ إلى مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ، خَافَ مِنْ الْحَارِث وَقَومِه، لِمَا كَانَ بَينَهُ وَبَينهُم من عَدَاوةٍ قَبْلَ الإسْلامِ، فَرَجَعَ إلى الرَّسُولِ ﷺ، وقَالَ لَه: يا رَسُول اللّه! إنَّ الحارثَ بنَ ضِرَارٍ قَدْ مَنَعَني الزَّكَاةَ، وأرَادَ قَتْلِي. فَغَضِبَ الرَّسُولُ ﷺ، ووجَّه جَيشاً لقتَال الحَارث وَقَومه. وفي نَفْسِ الْوَقْت كَانَ الحَارِثُ وقَومُهُ ينْتَظِرُونَ أنْ يأتِيَهُم أَحَدٌ مِنْ عند رَسُول اللَّه ﷺ، ليَأخُذَ الزَّكَاةَ، فَلمَّا لَمْ يأتِهِمْ أحَدٌ خَافَ الحَارِثُ أنْ يكُونَ قَدْ حَدَثَ منْهُ شَيءٌ أغْضَبَ الرَّسُولَ ﷺ، فَخَرَجَ ومَعَهُ بَعْضُ قَومِه مُتَوجِّهِينَ إلى الْمَدِينَة، وَفِي الطَّرِيقِ قَابَلَهُمْ جَيشُ الْمُسْلِمينَ، وَعَرَفُوا مِنْهُم مَا حَدَثَ، فَرَجَعُوا جَميعاً إلى الْمَدِينَة، وَدَخَلَ الْحَارِثُ على الرَّسُولَ ﷺ، وَبَيَّنَ لَهُ الْحَقيقَةَ، وَنَزَلَ قَولُ اللَّه تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

الصِّدْقُ يَكْفِيْ

يُحكَى أنَّ رَجُلاً كَانَ فِيه كَثِيرٌ مِنَ العُيُوبِ، فَحَاوَل أنْ يُصْلِحَهَا، لَكِنَّه لَمْ يسْتَطِعْ، فَذَهَبَ إلى عَالِمٍ مَعْرُوفٍ بِالتَّقْوَى وَالإِيمَانِ، وَشَكَا لَهُ عُيوبَه، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ وَصِيَّةٍ تُعَالِجُهَا.

فَطَلَبَ مِنْهُ الْعَالِمُ عِلاجَ عَيْبٍ وَاحِدٍ مِنْ عُيوبِهِ، وَهُوَ الكَذِبُ، وأَوصَاهُ بِالصِّدقِ في كُلٍّ حَالٍ. فَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ، وتَسَاءلَ في نَفْسِهِ عَنْ العَلاقَةِ بَينَ الصِّدقِ وَبَاقِي عُيوبِهِ، لَكِنَّهُ عَزَمَ على العَمَلِ بِهذِهِ الوَصيَّةِ.

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ، وَأَرادَ الرَّجُلُ أَنْ يَشْرَبَ خَمْراً، فَأَحْضَرَهَا، وَمَلأَ كَأساً مِنْهَا، وعِنْدَمَا رَفَعَهَا نَحْوَ فَمِه، قَالَ لِنَفْسِه: مَاذَا أَقُولُ لِلْعَالِمِ إِنْ سَأَلَنِي: هَلْ سَأُخْبِرُهُ بِهَذَا الذَّنْبِ. أَمْ أَكْذِبُ علَيهِ؟ لا، لَنْ أَفْعَلَ.

وَهكَذَا.. كُلَّمَا أَرادَ الرَّجُلُ أَنْ يفْعَلَ ذَنْباً امْتَنَعَ عَنْ فِعْلِه؛ حتَّى لاَ يَكْذِبَ على العَالِمِ. وَبِمُرُورِ الأَيَّامِ تَخلَّى الرَّجُلُ عَنْ كُلِّ عُيُوبِه بِفَضْلِ تَمَسُّكِه بِخُلُقِ الصِّدْقِ.

* * * * *

الصَّبِيُّ وَاللُّصُوصِ

اسْتَعَدَّ الصَّبِيُّ الصَّغِيرُ للسَّفَرِ إلى بَغْدَادَ لِيَتَعَلَّمَ هُنَاكَ، وَأَعْطَتْهُ أمُّهُ أرْبَعِينَ دِينَاراً؛ لِيُنْفِقَ مِنْهَا، وَقَالتْ لَهُ: عَاهِدْنِي يا وَلَدِي ألاَّ تَكْذِبَ أَبَدًا مَهْمَا كَانَ الأمْرُ. فَعَاهَدَهَا. وَخَرَجَ الصَّبِيُّ مَعَ الْقَافِلَة، وَبينَمَا هِيَ تَسِيرُ فِي الصَّحَرَاءِ هَاجَمَتْهَا عِصَابَةٌ مِنَ اللُّصُوصِ، وأَخَذَتِ الأَمْوالَ وَالْبِضَاعَةَ والأَمْتِعَة. ثُمَّ نَظَرَ أَحَدُ أَفْرَادِ الْعِصَابَةِ إلى ذَلِكَ الصَّبِيِّ وَسَأَلَهُ: هَلْ مَعَكَ شَيءٌ؟ فَقَالَ الصَّبِيُّ: مَعِي أَرْبَعُونَ دِينَاراً. فَضَحِكَ اللِّصُّ، وَظَنَّ أنَّ الصَّبِيَّ يَمْزَحُ، أَو أَنَّهُ مَجْنُونٌ، فَأَخَذَهُ إلى زَعِيمِهِمْ وأخْبَرَهُ بِمَا حَدَث. فَقَالَ زَعِيمُ اللُّصُوصِ: مَا حَمَلَكَ على الصِّدْقِ، قَالَ الصَّبِيُّ: عَاهَدَتْنِي أُمِّي عَلَى الصِّدْقِ، وَأَخَافُ أَنْ أَخُونَ عَهْدَهَا.

فَتَأَثَّرَ الزَّعِيمُ بِكَلامِ الْغُلامِ، وَقَالَ: تُضَحِّيْ بِمَالِكَ حَتَّى لا تُخْلِفَ عَهْدَكَ مَعَ أُمِّكَ؟! وَتَخَافُ أَنْ تَخُونَ عَهْدَهَا، وأَنا لا أَخَافُ أَنْ أَخُونَ عَهْدَ اللَّه. فَأَمَرَ اللُّصُوصَ بِرَدِّ مَا أَخَذُوْهُ مِنَ الْقَافِلَة، وَقَالَ لِلصَّبِيِّ: أَنَا تَائِبٌ إلى اللَّهِ على يَدَيْك. فَقَالَ بَاقِي اللُّصُوصُ لِزَعِيمِهِم: لَقَدْ كُنْتَ كَبِيرَنَا فِي قَطْعِ الطَّرِيقِ، وأَنتَ اليَوْمَ كَبِيرُنَا في التَّوبَةِ. وَتَابُوا جَمِيعاً.

عُقُوبَةُ كَاذِبٍ

كَانَ سَعْدُ بن أَبِي وَقَّاصٍ ـ رَضِي اللَّه عَنْهُ ـ أَمِيراً على الكُوفَةِ، فَشكَاهُ أَهْلُهَا إلى أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ وَقَالُوا إنَّه لاَ يُحْسِنُ الصَّلاةَ. فَقَالَ سَعْدٌ: أمَا واللَّه! إنِّي لأُصَلِّي بِهِم صَلاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لا أَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا؛ أُصَلِّي بِهِم صَلاةَ الْعِشاءِ، فأُطِيلُ فِي الرَّكعَتين الأُولَيَيْنِ، وأُخَفِّفُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأُخْرَيَيْنِ.

فَقَالَ عُمَرُ ـ رَضِي اللَّه عَنْهُ ـ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يا أَبَا إسْحَاقٍ. ثُمَّ أَرْسَلَ أَمِيرُ المؤمِنينَ رَجُلاً مَعَ سَعْدٍ، لِيسْأَلَ أَهْلَهَا عَنْهُ. فَمَرَّ الرَّجُلُ على مَسَاجِدِ الْكُوفَةِ، وَسَأَلَ النَّاسَ عَنْ سَعْدٍ، فَكَانوا يَمْدَحُونَهُ، وَلَمَّا مَرَّ على مَسْجِدِ بَنِي عَبْسٍ، قَالَ رَجُلٌ مِنْهُم: إنَّ سَعْدًا كَانَ لا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ (لاَ يَخْرُجُ مَعَ الْجَيشِ)، وَلاَ يُقسِمُ بالسَّوِية، وَلاَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيةِ. فَلَمَّا عَلِمَ سَعْدٌ بِذلكَ قَالَ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذا كَاذِباً، قَامَ رِياءً وسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمُرَه، وأَطِلْ فَقْرَهُ، وعَرِّضهُ للفِتَنِ.

وَمَرَّتِ السَّنَواتُ، واستَجَابَ اللَّهُ دَعْوةَ سَعْدٍ، فَطَالَ عُمْرُ الرَّجُلِ حتَّى ضَعُفَ، واشْتَدَّ فَقْرُهُ، وسَاءَتْ سِيرَتُه، فَكَانَ يقُولُ عَنْ نَفْسِهِ: شَيخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوةُ سَعدٍ. وَبِهَذَا نَالَ عُقُوبَةَ كَذِبِهِ.

* * * * *

صَـدَقَ اللَّـهُ

يُرْوَى أَنَّ أعْرَابِيّاً اشْتَرَكَ مَعَ الْمُسْـلِمِينَ فِـي فَـتْحِ خَيبَـرَ، وَلَمَّا قَسَّمَ الرَّسُولُ ﷺ الْغَنَـائمَ بَـينَ الْمُسْـلِمِينَ، أَخَـذَ جُـزْءًا فَأعْطَـاهُ لأَصْـحَابِهِ؛ كَـيْ يُعْطُـوهُ لِـذَلكَ الأعْرَابِـيِّ، فَـذَهَبَ الصَّحَابَةُ إلى الأعْرَابِيِّ، وَأَعْطَوْهُ نَصِـيبَهُ مِـنْ الْغَنَـائمِ، فَأَخَـذَ الأَعْرَابيُّ المَالَ، وَذَهبَ إِلى الرَّسُولِ ﷺ، وَقَـالَ: يـا رسُـولَ اللَّه! مَا علَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِ اتَّبعْتُكَ على أنْ أُرْمَى بِسَـهْمٍ هَاهُنَا ـ وأشَارَ إلى حَلْقِه ـ فَأَمُوتَ فأَدْخُلَ الجنَّةَ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ».

وَبَعْدَ ذَلكَ حَضَرَ الأعْرَابِـيُّ قِتَـالاً آخَـرَ مَـعَ الْمُسْـلِمِينَ، وظَلَّ يُقَاتِلُ حتَّى أَصَابَهُ سَهْمٌ فَحَمَلَـهُ الصَّـحَابَةُ، وَجَـاؤُوا بِـه إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، فَوجَدَ السَّهْمَ فِي حَلْقِ الأعْرَابِيِّ، فَقَالَ لهُم النَّبِيُّ ﷺ: «هُوَ هُوَ؟». قَالَ الصَّحَابَةُ: نَعَمْ. فَقَالَ ﷺ: «صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ».

وَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ جُبَّتَهُ، وكَفَّنَ فِيهَا الأعْرَابيَّ وصَلَّى علَيـهِ وَدَعَا لَهُ قَائلاً: «اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَـاجِرًا في سَـبِيلِكَ، قُتِلَ شَهِيداً، وأنَا علَيهِ شَهِيدٌ».

الْعَالِمُ والأعْرَابِيُّ

يُحْكَى أَنَّ أَحَدَ العُلَمَاءِ كَانَ يَجْمَعُ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِيكْتُبَهَا وَيسَجِّلَهَا، وَذَاتَ يومٍ، سَمعَ أنَّ أَعْرَابِيّاً يَحْفَظُ حَدِيثاً مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ، فَسَافَرَ إلى هَذَا الأَعْرَابِيِّ؛ حتَّى يأخُذَ عَنْهُ هَذَا الْحَدِيثَ وَعِنْدَمَا وَصَلَ الْعَالِمُ إلى الأعْرَابِيِّ، وَجَدَهُ يُمْسكُ بِطَرَفِ مَلابِسِهِ كأنَّ فيها طَعَاماً، فَأَسْرَعَ عَائداً نَحْوَهُ لِيأْكُلَ هَذَا الطَّعَامَ

وَمَا إنْ وَصَلَ الْفَرَسُ إلى الأعْرَابِيِّ حتَّى أَمْسَكَ بِهِ، وَأَدْخَلَهُ بَيتَهُ فَسَأَلَهُ الْعَالِمُ: هَلْ كَانَ مَعَكَ طَعَامٌ؟ قَالَ الأعْرَابِيُّ: لا، إِنَّمَا كُنْتُ أَخْدَعُهُ، لِيأتِيَ فَأُمْسكَ بِهِ

فَغَضِبَ الْعَالِمُ، وانْصَرَفَ قَبْلَ أَنْ يأخُذَ مِنْهُ الْحَديثَ

فَنَادَاهُ الأعْرَابِيُّ: انْتَظِرْ حتى تَسْمَعَ الْحَدِيثَ لَكِنَّ الْعَالِمَ وَاصَلَ طَرِيقَهُ قَائلاً للأعْرَابِيِّ: إِنِّي لاَ أُصَدِّقُكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ؛ لأَنَّكَ تَكْذِبُ على البَهَائِمِ، وَأَنَا لا آخُذُ حَدِيثاً مِنْ كَاذِبٍ

* * * * *

تَمْرَةٌ أَو كَذْبَةٌ

الْمُسْلِمُ يَحْرِصُ على الصِّدْقِ دَائماً مَعَ الْجَمِيعِ، ويَعْلَـمُ أنَّ مَا خَالَفَ الصِّدْقَ فَهُوَ كَذِبٌ، وَهُـوَ لاَ يُفَـرِّقُ بَـينَ كَذْبَـةٍ صَغِيرةٍ وكَذْبَةٍ كَبِيرةٍ، فَإنَّ الْجَمِيعَ يُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ كَاذِباً.

فَقَدْ رُوِي أَنَّ إحْدَى الأُمَّهَـاتِ نَـادَتِ ابْنَهَـا الصَّـغِيرِ، فَقَالَتْ لَهُ: تَعَالَ.. أُعْطِكَ.

وكَانَتْ تَقْصِدُ بِذَلِكَ أَنَّها سَتُعْطِيْهِ شَيْئاً مَا.

وَسَـمِعَهَا رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ، فَسَـأَلَهَا: «وَمَـا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟».

قَالَتْ: أُعْطِيْهِ تَمْراً.

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أمَا إنَّكِ لَوْ لَـمْ تُعْطِـهِ شَـيْئاً كُتِبَتْ علَيكِ كَذِبَةٌ».

* * * * *

صِـدْقٌ وَتَوبَـةٌ

عِنْدَمَا خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إلى غَزْوةِ تَبُوكٍ، تَخَلَّـفَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ وَلَمْ يخْرُجُوا مَعَهُ، وكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالكٍ ـ رَضِـي اللهُ عنهُ ـ منْهُمْ، فَلَمَّا تَفَكَّرَ فِي حَاله، وَتَخَلُّفِـه عَـنْ رَسُـولِ اللَّـه ﷺ، ومَا فَاتَهُ مِنَ الْخَيرِ حَزِنَ حُزْناً شَـديداً، وَخَـافَ أنْ يَغْضَـبَ اللَّهُ وَرسُـولُهُ عليـه، وَأَصْبَحَ يُفَكِّـرُ؛ كَيـفَ يواجِـهُ النَّبِـيَّ ﷺ، وَيعْتَذِرُ إليهِ؛ أَيكْذِبُ عليهِ لِينْجُوَ، أمْ يَصْدُقَ وإنْ عَرَّضَهُ الصِّـدْقُ للعُقُوبَةِ؟! وَانْتَهَى إلى أَنَّهُ لَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ هَذَا الضِّيقِ إلاَّ الصِّدْقُ. وَعَادَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَة، وَجَاءَهُ الْذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الغَـزْوَةِ يعْتَذِرُونَ إليه، فَقَبِلَ مِنْهُمُ الرَّسُولُ ﷺ اعْتذَارَهُمْ، وَتَرَكَ مَـا فِـي نُفُوسِهِمْ إِلَى اللَّهِ. وَجَاءَهُ كَعْبٌ على اسْتحْيَاءٍ حتى جَلَـسَ أَمَامَـهُ. فَسَأَلَهُ الرَّسُولُ عَنْ سَبَبِ تَخَلُّفِه. فَقَالَ كَعْبٌ مُعْتَرِفاً: لا ـ واللَّـهِ ـ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عُذْرٍ، واللَّه مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى ولاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِـينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. فَقَال الرَّسُولُ ﷺ: «أمَّا هَذَا فَقَد صَدَقَ، فَقُمْ حتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ». وَجَاءَ مَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ وهِلالُ بْنُ أُمَيَّةَ ـ رضِـيَ اللهُ عَنْهما ـ وكَانَا قَدْ تَخَلَّفَا عَنْ الْغَزْوَة، فَقَالاَ الصِّدْقَ مِثْلَمَا قَـالَ كَعْبٌ، واعْتَرَفَا بِخَطَئِهِمَا، وأَنَّهُ لا عُذْرَ لَهُمَا. ونَهَى الرَّسُـولُ ﷺ

الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلامِ هَؤُلاءِ الثَّلاثَةِ، فَاجْتَنَبَهُم الْمُسْلِمُونَ وَقَاطَعُوهُمْ، حتى أَصْبَحَ الثَّلاثَةُ كَأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ، وَشَعَرُوا أَنَّ الأَرْضَ - رَغْمَ سَعَتِهَا - قَدْ ضَاقَتْ عليهِم.

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ على الثَّلاثَةِ بَطِيئَةً ثَقِيلَةً، حتى إِذَا كَانَتِ اللَّيلَةُ الْخَمْسُونَ، صَلَّى كَعْبٌ الْفَجْرَ على سَطْحِ بَيتِهِ، وَجَلَسَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالى، وَفَجْأَةً.. سَمِعَ صَوتاً عَالِياً يُنَادِيْهِ: يا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ! أَبْشِرْ. فَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَابَ عليهِ، فَسَجَدَ للَّهِ شُكْراً.

وَأَسْرَعَ النَّاسُ إليه يُهَنِّئُونَهُ ويُهَنِّئُونَ صَاحِبَيْهِ. ذَهَبَ كَعْبٌ إلى الْمَسْجِدِ، فَوجَدَ الرَّسُولَ ﷺ جَالِسًا فَسَلَّمَ عليهِ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَهُوَ يبْتَسِمُ: «أَبْشِرْ بِخَيرِ يومٍ مَرَّ عليكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ». فَقَالَ كَعْبٌ: أَمِنْ عِنْدِكَ يا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «لا؛ بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»... ثُمَ قَالَ كَعْبٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وإِنَّ مِنْ تَوبَتِي أَلاَّ أُحَدِّثَ إِلاَّ صِدْقاً مَا بَقِيْتُ.

وَهكَذَا تَابَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - على كَعْبٍ وَصَاحِبَيْهِ بِصِدْقِهِمْ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْكَذِبِ، وَأَنْزَلَ فِيهِم قُرْآناً يُتْلَى، وَآيَاتٍ تَحكِي قِصَّتَهُمْ، وَتُخْبِرُ بِصِدْقِهِمْ.

* * * * *

كَلامٌ صَدَّقَهُ اللَّه

فِي إِحْدَى الْغَـزَوَاتِ، سَـمِعَ زَيـدُ بْـنُ أَرْقَـم ـ وكَـانَ شَـابّاً صَغِيراً ـ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَـيٍّ بْـنِ سَـلُولٍ، وَهُـوَ يَتوعَّـدُ الْمُسْـلمِينَ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ الْمَدِينَةِ، وَيحَرِّضُ أَتْبَاعَهُ على ذَلكَ، وَيقُولُ لَهُم: لئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينة لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ (يقْصدُ أَنَّهُ هُـوَ العَزِيزُ وَأَتْبَاعَهُ، وأَنَّ الْمُسْلمِينَ هُمُ الأَذلاَّءُ). فَغَضِبَ زَيـدٌ وَعَـزَمَ على إِخْبَارِ الْمُسْلِمِينَ حتَّى يَحْتَاطُوا مِنْ أَذَى الْمُنَـافِقِينَ، فَـذَهَبَ إلى عَمِّه، وأَخْبَرَهُ بِذَلكَ، فَأَسْرَعَ عَمُّهُ، إلى النَّبِيِّ ﷺ، وَذَكَرَ لَـهُ مَا حَدَثَ، فَدَعَا الرَّسُولُ ﷺ زَيْداً، فَجَاءَ زَيدٌ إلى الرَّسُـولِ ﷺ، وَأَكَّدَ لَهُ مَا سَمِعَهُ مِنْ هَؤلاءِ الْمُنَافِقِينَ.

فَأَرْسَـلَ الرَّسُـولُ ﷺ إِلَـيهِم، فَجَـاءَ عَبْـدُ اللَّـهِ بْـنُ أُبَـيٍّ وَأَصْحَابُهُ، وَحَلَفُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ مَا قَالُوا ذَلِـكَ الْكَـلامَ، فَصَدَّقَهُم النَّبِيُّ ﷺ، وكَذَّبَ زَيداً. فَحَزِنَ زَيدٌ لذَلكَ، وَأَصَابَهُ هَمٌّ شَدِيدٌ، وَجَلَسَ فِي بَيتِهِ، وَظَلَّ هكَذَا حتى نَزَلَتْ سُورَةُ الْمُنَـافقينَ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ وَفَضَحَ اللَّهُ فِيهَا الْمُنَـافِقِينَ، وَبَـيَّنَ كَـذِبَهُمْ، وَظَهَرَ صِدْقُ زَيدٍ، فَبَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ إليهِ، وَقَرَأَ عليـهِ السُّـورَةَ، وَقَالَ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يا زَيدُ».

الصَّادِقُ والصِّدِّيقُ

فِي إِحْدَى اللَّيَالِيْ حَدَثَتْ مُعْجِزَةُ الإِسْرَاءِ والْمِعْرَاجِ؛ فَأَسْرَى اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ بِنَبِيِّهِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى، ثُمَ عُرِجَ بِهِ إلى السَّمَاوَاتِ العُلَى، ثُمَ عَادَ الرَّسُولُ ﷺ مَرَّةً ثَانِيَةً إلى مَكَّةَ والْنَاسُ نِيامٌ كَمَا هُم.

وَفِي الصَّبَاحِ، خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ لِيخْبِرَ النَّاسَ بِتِلْكَ الْمُعْجِزَةِ ويدْعُوهُمْ إلى الإِيمَانِ باللَّه، وَمَا إِنْ سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ حتى كَذَّبُوا النَّبِيَّ ﷺ ولَمْ يصَدِّقُوهُ، وَظَلُّوا يتَنَاقَلُونَ الْخَبَرَ، وَيَضْحكُون مِنْهُ قَائِلِينَ: إِنَّنَا نَركَبُ الإِبِلَ شَهْراً مِنْ مكَّةَ إلى الشَّامِ فِي الذِّهَابِ وشَهْراً فِي الرُّجُوعِ، أفَيَذْهَبُ مُحَمَّدٌ فِي لَيلَةٍ وَاحِدَةٍ وَيرْجِعُ إلى مكَّةَ.

وَذَهَبَ الْكُفَّارُ مُسْرِعِينَ إلى أَبِي بكْرٍ لِيخْبِرُوهُ بِمَا حَدَثَ؛ لِيفرِّقُوا بينَهُ وبَينَ النَّبِيِّ ﷺ وقَالُوا لَهُ: هَلْ لَكَ يا أَبَا بكْرٍ فِي صَاحِبِكَ، يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِه اللَّيلَةَ إلى بَيتِ المَقْدِسِ، وَصَلَّى فِيهِ، وَرَجَعَ إلى مكَّةَ. فَقَالَ أَبُو بكْرٍ: وَهَلْ قَالَ ذَلِكَ؟

قَالُوا: نَعَمْ، هَا هُوَ ذَاكَ فِي المَسْجِدِ يحَدِّثُ النَّاسَ.

فَقَالَ أَبُو بكْرٍ: واللَّهِ لَئِنْ كَانَ قَالَهُ لَقَدْ صَدَقَ.

فَقَالَ النَّاسُ: أَتُصَدِّقُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيلَةَ إلى بَيتِ المَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يصْبِحَ؟!

قَالَ: نَعَمْ، إنِّي لأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، فَواللّه إِنَّهُ لَيخْبِرُنِي أَنَّ الْخَبَرَ (الوَحْي) لَيأتِيْه مِنْ السَّمَاء إلى الأَرْضِ فِي سَاعَةٍ مِنَ لَيلٍ أو نَهَارٍ فأصَدِّقُهُ، فَهَذَا أَبْعَدُ مِمَّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ.

ثُمَ ذَهَبَ أَبُو بكرٍ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وحَولَهُ النَّاسُ يتَعَجَّبُونَ مِنْ تِلْكَ الْقِصَّة وَيرِيدُونَ دَلِيلاً على صدْقِ كَلامِ الرَّسُولِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُمْ الرَّسُولُ ﷺ بأَشْيَاءَ رَآهَا فِي طَرِيقِه، ووَصَفَ لَهُمْ المَسْجِدَ الأَقْصَى، وأبُو بكْرٍ يقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ، أَشْهَدُ أَنَكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَسُمِّيَ أَبُو بكْرٍ: الصِّدِّيقُ.

قَصَصٌ فِي الصِّدْق

حَقّاً.. الصِّدْقُ خُلُقٌ نَبِيلٌ، وَصِفَةٌ طَيِّبَةٌ اتَّصَفَ بِهَا الأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ، وَعُرِفَ بِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ بَينَ قَومِهِ؛ فَكَانُوا يُنَادُونَهُ بِالْصَّادِقِ الأَمِينِ.

والصِّدْقُ مِنْ أَهَمِّ صِفَاتِ الْمُؤمِنِ، وَهُوَ شِعَارُهُ على الْدَّوَامِ، فَالْمُسْلِمُ صَادِقٌ لاَ يَكْذِب.

والصِّدْقُ طَرِيقٌ إلى الجنَّةِ وإلى الْفَوزِ بِرِضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيا والآخرَة، يقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِيْ إلى البِرِّ، وَإِنَّ البرَّ يَهْدِيْ إِلَى الجنَّة، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّه صدِّيقاً، وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِيْ إِلَى الفُجُور، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّه كَذَّاباً».

وَهَذِه الْقِصَصُ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الصَّادِقِينَ والكَاذِبِينَ، تُعَلِّمُنَا الالْتِزَامَ بِالصِّدْقِ، وَاجْتِنَابَ الكَذِب.

سلسلة قصص في الأخلاق

١ - قصص في الأخلاص
٢ - قصص في الأمانة
٣ - قصص في الإيثار
٤ - قصص في البِرّ
٥ - قصص في التّعاون
٦ - قصص في التّواضع
٧ - قصص في التّوكل
٨ - قصص في الحبّ
٩ - قصص في الحِلم
١٠- قصص في الحياء
١١- قصص في الرحمة
١٢- قصص في الشجاعة
١٣- قصص في الشُّكر
١٤- قصص في الشُّورى
١٥- قصص في الصَّبر
١٦- قصص في الصِّدق
١٧- قصص في الطّاعة
١٨- قصص في العدل
١٩- قصص في العفو
٢٠- قصص في الكرم
٢١- قصص في الوفاء

٨١٠٠٥٦